مقدمـــة

تعـد تنمية الطفل ورعايته عاملا من أهم العوامل الأساسـية فى التنمية الشـاملة، وهدفا من الأهداف الرئيسية التى تسعى الدولة إلى تحقيقها فالاهتمام بمستقبل الطفل هو فى الحقيقة ضمان مستقبل شعب بأسره فالطفولة هى صناعة المستقبل وأطفال اليوم هم رجال الغد، وهم الذين يرثون القرن القادم؛ هم جزء من الحاضر لكنهم كل المسـتقبل هم ثروة الأمة والمسـتقبل المشـرف لها، فبقدر ما هم عليه من إعداد واستعداد يكون المستقبل فإذا نجحنا فى توفير عناصر البقاء وظروف النماء لهم وتمكنا من حمايتهم نكون قد مهدنا الطريق أمامهم لبناء المجتمع وفق أسـس التنشـئة الاجتماعية السليمة[1].

تبدأ التنشئة الاجتماعية السوية من الأسرة التى يجب أن تتولى تنشئة الطفل تنشئة سوية وتوفر له الرعاية الاجتماعية بكل أشكالها الأخلاقية والعلمية فى ظل ظروف مادية تتناسب معها.

لقد أقر الإسلام وجود الأسرة وحث على تأكيد الروابط والصلات بين أفرادها فقد جعل العلاقة بين الزوجين تقوم على الرحمة والمودة لا على الكراهية والبغضاء. ولم يترك الإسـلام أى أمر من أمور الأسـرة إلا وقد شـرع لها أحكاما دينية ودنيوية تحدد نوع التربية السـوية التى يجب أن يتلقاها الطفل فى مرحلة الطفولة والتى تعتبر الأسـاس الأول فى التنشـئة الاجتماعية السـليمة للطفل من خلال الأسـرة[2]. لذا تعد الأسـرة من أهم أسس حماية الأطفال من التعرض للانحراف أو التأثر بالنماذج المنحرفة.

والأسـرة السوية هى التى استطاعت أن تنمى طفلها بعيدا عن عوامل الانحراف والأخلاقيات غير السـوية وأعـدت لطفلهـا تربية متزنة سـوية يتخذها حصنـا منيعا من أى سـلوك مضاد للمجتمع[3].

إذا تلقى الطفل أخلاقيات غير سـوية فسـينعكس ذلك على سلوكه فى الأسرة والمجتمع ولن يكون عضوًا فعالاً فى قيام مجتمعه بل عاملا من عوامل انحطاطه، فما يكتسبه الفرد من مجتمعه

---

(١) خليل وديع شكور، الطفولة المنحرفة، الدار العربية للعلوم، بدون سنة نشر ص ١٧.

(٢) محمد عبد القوى شبل الغنام، دراسة تحليلية للتشريعات التربوية التى كفلها الإسلام لحماية الأسرة والأبناء من الانحراف، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد٧٦ ديسمبر ١٩٩٨ ص ٣٠٦.

(٣) إيمان عز العرب، ملامح التغير فى الأسرة المصرية فى ظل مجتمع المعلومات، دراسة ميدانية لاتجاهات أرباب الأسر الحضرية نحو دور التقنية الحديثة فى التنشئة الاجتماعية للأبناء، دراسة منشورة فى الأسرة المصرية وتحديات العولمة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، أعمال الندوة السنوية التاسعة لقسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة فى الفترة من ٧ – ٩ مايو ٢٠٠٣ ص ٦٨.

يحدد نوع المجتمع القائم فيه فكل منهما عامل مؤثر فى الآخر[1].

من الممكن أيضا أن يكون الخلل فى المجتمع خارجا عن إرادته وإرادة الأفراد الذين يعيشون فيه، فقد يكون الخلل ناتجًا عن متغيرات دولية أثرت على المجتمع أدت إلى ظهور مشاكل اجتماعية كثيرة تؤثر على الأسرة ومن ثم على أفرادها؛ وقد تؤدى هذه المشكلات أيضًا إلى مشاكل أخرى تسهم فى زيادة مشاكل المجتمع. ولكن لم يكن الأطفال بمنأى عن هذه المشكلات جميعًا فتأثروا بها، وظهرت مشكلات الطفولة.

لقد حدد لنا الإسلام أسس التربية السوية للأسرة لتحمى أفرادها من مشكلات المجتمع وأمراضه الاجتماعية، فقد حدد لنا التشريع الإسلامى كيفية تكوين الأسرة السليمة بداية من اختيار الزوج والزوجة بوضع معيار لكل منهما، فالإسلام حث الزوج على اختيار الزوجة المتدينة، فقال ﷺ (تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ونسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)[2].

إن عملية اختيار الزوجة هى أساس بناء الأسرة فإذا كان الأساس سليمًا كان سببًا لأساس وسلامة الأطفال لأن الأطفال يتأثرون سلبًا وإيجابًا بأمهم لأن الأم شريكة للأب فى توجيه الأولاد ووقايتهم من الانحراف.

كذلك حدد الإسلام معيار اختيار الزوج، فقد حث ولى الزوجة على حسن اختيار الزوج فقال ﷺ: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد، قالوا يا رسول: وإن كان فيه، قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه فانكحوه فانكحوه)[3].

توضح هذه الأحاديث مدى حرص الإسلام على تكوين الأسرة على أسس قويمة يسودها الحب والمودة والرحمة والاستقرار مما يكون له أكبر الأثر فى حماية أطفالها الناتجة عنها بعيدًا عن الانحراف والضياع، ومع هذا فقد نجد أعدادا كبيرة من الأطفال يطلق عليهم «أطفال بلا مأوى»[*] يعيشون فى ظروف صعبة تزداد مرارةً يتعرضون فيها للحرمان الكلى أو الجزئى ويتعرضون لمخاطر

---

(١) أبو بكر مرسى محمد مرسى، «ظاهرة أطفال الشوارع»، المفهوم، الانتشار، العوامل المسئولة، المخاطر الجهود المبذولة» رؤية حضارية، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ٢٠٠١ ص ٣.

(٢) البخارى، صحيح البخارى، كتاب النكاح، حديث رقم ٥٠٩٠.

(٣) أخرجه الترمذى، السنن، كتاب النكاح حديث ١٠٨٥.

(*) كان يطلق على ظاهرة «أطفال بلا مأوى» مصطلح ظاهرة «أطفال الشوارع» وهذا المصطلح متعارف عليه دوليًا وأكاديميًا غير أن السيدة «سوزان مبارك» طالبت بإطلاق مصطلح «أطفال بلا مأوى» فى المؤتمر القومى الذى نظمه المجلس القومى للطفولة والأمومة بالتعاون مع منظمة اليونيسيف، معبرة إن هذا التعبير «أطفال الشوارع» يعد امتهانًا لكرامة هذه الفئة التى لا ذنب لها فى واقعها كضحايا لظروفهم، ويتعارض مع الرؤية الاجتماعية لوضعهم من منظور حقوق الطفل بوجه خاص وحقوق الإنسان بوجه عام.

ومشكلات كثيرة تجعلهم فى العديد من الأوضاع السيئة داخل المجتمع المحيط بهم.

كثيرًا ما يرجع هذا إلى أن الاهتمام بقضايا واحتياجات مرحلة الطفولة مازالت لا تحصل على الصدارة فى قائمة خطط التنمية العامة، فتنمية الطفولة ليست مجرد مشروعات اجتماعية أو اقتصادية جزئية، سواء على المستوى الحكومى أم الفردى أم الدولى، أو استحداث لبعض المنظمات أو التشريعات، ولكن لابد أن تتضمن سياسة شاملة متعددة المداخل ومتكاملة مع غيرها من السياسات التنموية[1].

وتعد ظاهرة أطفال بلا مأوى من المشكلات ذات الأبعاد المجتمعية ويقتضى معالجة هذه الظاهرة تحديد المتغيرات ذات الصلة بالمجتمع بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة ويكون لها تأثير مباشر أو غير مباشر على ظاهرة «أطفال بلا مأوى».

لذا فإن بداية تناول هذه الظاهرة على الصعيد الدولى والمحلى هو بداية تعميق الإحساس بمخاطرها ليس فقط فى المجتمعات التى تعانى منها بشكل مباشر بل على المجتمع الدولى بأسره إذ إن آثارها ونتائجها السلبية التى لا تقف فى مواجهتها حدود سياسية أو جغرافية خاصة مع التقدم التكنولوجى الهائل الذى حققته البشرية وازدياد انتشار الجريمة المنظمة وغير الوطنية العاملة بقوة فى هذا المجال بفعل الظروف الدولية الراهنة والأوضاع الاقتصادية المتباينة[2]، وهكذا ظهرت مشكلة أطفال بلا مأوى لتمثل مشكلة من أهم مشكلات الطفولة فى مصر.

وعلى هذا تم اختيار ظاهرة أطفال بلا مأوى وعلاقتها بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية موضوعا لهذا الكتاب.

ينقسم الكتاب إلى ستة فصول هى كما يلى:

الفصل الأول: أطفال بلا مأوى.. الأهمية والأهداف والمفاهيم والموجهات النظرية.

حيث تناول هذا الفصل تحليلا لظاهرة أطفال بلا مأوى وما ينتج عنها من تهديدات لأمن المجتمع واستقراره، وتناول إبراز أهمية الموضوع وتناول كذلك أهدافه التى حاولت الوقوف على العلاقة بين المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وبين ظاهرة أطفال بلا مأوى، والمخاطر التى يتعرض لها هؤلاء الأطفال والتعرف على عددهم الحقيقى للوصول على أفضل الحلول الفعالة لهم ولمجتمعهم.كما تناول المفاهيم المختلفة لهؤلاء الأطفال للوصول إلى مفهوم إجرائى خاص بهم، ثم تناول تصنيف هؤلاء الأطفال والعلاقة بينهم وبين عمالة الأطفال، وتناول أيضا

---

(١) محمد سيد فهمى، أطفال الشوارع، مأساة حضارية فى الألفية الثالثة، المكتبة الجامعية، الازاريطة، الإسكندرية ٢٠٠٠ ص ٣٠.

(٢) سهير لطفى، الأنماط الجديدة لتشرد الصغار، المجلة الجنائية القومية، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، الجلد السابع والثلاثون، العدد الثالث، نوفمبر ١٩٩٤ ص ٧.

هذا الفصل الاتجاه النظرى الذى اعتمد عليه الكتاب من خلال النظرية البنائية الوظيفية ونظرية التغير الاجتماعى.

الفصل الثانى: بعنوان «المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وعلاقتها بظاهرة أطفال بلا مأوى».

يتناول هذا الفصل ظاهرة أطفال بلا مأوى وعلاقتها بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وقد تناول التفكك الأسرى من المتغيرات الاجتماعية، والعولمة وآثارها السلبية كالخصخصة والبطالة والفقر من المتغيرات الاقتصادية، والتليفزيون والانترنت من المتغيرات الثقافية. حيث إن هذه المتغيرات سالفة الذكر أثرت بطريق مباشر على المجتمع المصرى الذى أثر بدوره على أسره مما أفرز هذه الظاهرة المرضية.

الفصل الثالث: بعنوان تحليل سوسيولوجى لظاهرة أطفال بلا مأوى.

يتناول هذا الفصل حجم انتشار الظاهرة على المستويين العالمى والعربى وهذا يدل على أن الظاهرة ليست حكرا على دول بعينها فهى موجودة فى جميع البلدان ولكن بأعداد متفاوتة، ثم تناول الفصل المخاطر التى يتعرض لها أطفال بلا مأوى، وهى تبدأ من الأسرة التى تلفظ على أثرها أطفالها إلى الشارع نتيجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى تعانى منها، غير أن الطفل يظل يتأرجح بين الأسرة والشارع ويتعرض فى هذه المرحلة لمخاطر عديدة ولكنه لا يستطيع الهروب منها أو تفاديها، ثم تأتى المرحلة الأخيرة وهى استقراره فى الشارع وتعرضه لمخاطر كبيرة يصعب معالجتها أو مساعدته فيها. وتناول كذلك التجارب الدولية والعربية فى معالجة الظاهرة ولقد تم التركيز على مجموعة من الدول وهى «البرازيل، المغرب، السودان، لبنان، اليمن، مصر».

الفصل الرابع: بعنوان «الطفل فى الإسلام».

يتناول هذا الفصل بداية تكوين الأسرة على أسس قويمة يسودها الحب والألفة والتماسك، منذ مرحلة ما قبل الاقتران «الانتقاء»، ثم مرحلة الاقتران «الزواج» ثم مرحلة ما بعد الاقتران «الطفولة».

الفصل الخامس: بعنوان «الدراسات السابقة».

تناول هذا الفصل الدراسات السابقة وقد قسمت إلى قسمين الدراسات العربية والدراسات الأجنبية وقد تم توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما وبين موضوع الكتاب الحالى.

الفصل السادس: بعنوان «النتائج والتوصيات المقترحة».

(أ) النتائج الخاصة مع أطفال بلا مأوى.

(ب) النتائج الخاصة من وجهة نظر المسئولين.

(جـ) التوصيات العامة.

□□□

obeikandl.com